الأهرام

المصدر :

التاريخ :

اسرائيل عازمة على تأخير المفاوضات مع سورية

ما بعد الاتفاق الفلسطيني ـ الاسرائيلي

بقلم د. سليم الحص

السلام اللبناني ـ الاسرائيلي يلزمه ٩ شهور بشروط اسرائيلية

دفع لبنان، على ما يبدو ثمن السلام الفلسطيني الاسرائيلي سلفا في عدوان همجي شنته اسرائيل على الجنوب والبقاع الغربي قبل فترة قصيرة من الزمن لم نفهم لذلك العدوان الغاشم سببا في حينه قيل ان العملية كانت انتقامية، قامت بها اسرائيل ردا على مقتل اربعة من جنودها في عمليات للمقاومة اللبنانية داخل الشريط الحدودي اللبناني ولكن ذريعة اسرائيل كانت واهية ولم يتقبلها الرأي العام العالمي، خصوصا وان الجنود الاسرائيليين الذين زعمت اسرائيل انها تنتقم لهم لقوا مصرعهم على الارض اللبنانية.

فكان من جراء العملية الاسرائيلية لفت انظار العالم مجددا الى ان القوات الاسرائيلية ما زالت تحتل ارضا لبنانية. هذا والواقع، بالاضافة الى شراسة العدوان الاسرائيلي وفظاعته، كان من شانه استدرار بعض العطف عن لبنان في العالم. وظهر ذلك جليا من خلال المواقف التي ادلت بها المراجع الدولية مستنكرة العدوان الاسرائيلي.

لم نفهم لذلك العدوان الاسرائيلي الوحشي على لبنان سببا في حينه، فاذا بالتطورات تكشف ان ذلك العدوان ما كان الا توطئة، على طريقة اسرائيل للتسوية التي كانت اسرائيل تفاوض الجانب الفلسطيني عليها في الخفاء في اوسلو، المروج بعيدا عن حلبة المفاوضات الرسمية في واشنطن. وقيل آنذاك، من باب التهويل والترويع، ان ذاك العدوان ما هو الا انموذج عما يمكن ان تتعرض له سائر ارجاء المنطقة فيما اذا تعثرت محادثات السلام بين العرب واسرائيل. كانت، بعبارة اخرى عملية تطويع وترويض دفع لبنان ثمنها في الجنوب والبقاع الغربي، وكانت منظمة التحرير والشعب الفلسطيني اولى ضحاياها ولقد اثيرت تساؤلات حول موقف الحكومة اللبنانية اذ هي، برغم العطف الكبير الذي احرزه لبنان في الاوساط الدولية، لم تتقدم من مجلس الامن بشكوى ضد اسرائيل على عدوانها. وكان ذلك اضعف الايمان. لا بل ان لبنان باشر التحرك على صعيد مجلس الامن ثم توقف عن متابعته، وقيل آنذاك ان لبنان استنكف عن متابعة شكواه في مجلس الامن تحت الضغط الامريكي وبحجة ان الادارة الامريكية كانت تعمل على ايقاف العدوان الاسرائيلي. فعزز ذلك الاعتقاد السائد ان العدوان كان مطلوبا لغاية تتعلق بمسيرة السلام. فكان ان وقع اتفاق غزة اريحا بين اسرائيل والجانب الفلسطيني.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ماذا بعد هذا الاتفاق؟

ينتظر ان تشهد مرحلة ما بعد الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي، من جهة، تباطؤا في مسارات السلام الاخرى، ومن جهة ثانية استدراج سائر الدول العربية الى الاعتراف باسرائيل. وقد جاءت زيارة اسحق رابين وشيمون بيريز الى المغرب في طريق عودتهما من واشنطن الى تل ابيب في سياق ذلك. ومن جهة ثالثة مباشرة عملية تطبيع واسعة انطلاقا من الثغرة المهمة التي فتحها اتفاق غزة اريحا في جدار المقاطعة العربية الاسرائيلية. وجاء في الانباء ان الادارة الامريكية اجرت اتصالات مع بعض الدول العربية تحثها فيها على انهاء مقاطعتها اسرائيل.

بمجرد التوقيع على اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية، لم تعد اسرائيل في عجلة من امرها في التعاطي مع المسارين المتبقيين: اللبناني والسوري.

المسار اللبناني

فلقد نسب الى شيمون بيريز، وزير خارجية اسرائيل، كلام يفيد ان اسرائيل لن تستعجل محادثاتها مع لبنان وسورية لانها تحتاج الى بعض الوقت لهضم، او استيعاب، نتائج اتفاقها مع الجانب الفلسطيني. وهو في ذلك يشير، من جهة، الى المعارضة الحادة التي اثارها ذلك الاتفاق في اوساط اليمين الاسرائيلي، متمثلا في كتلة ليكود التي رأت في الاتفاق بداية الطريق لقيام دولة فلسطينية سيكون همها، حسب زعم زعماء الكتلة، تدمير اسرائيل. وهو يشير، من جهة ثانية، في حديث الهضم والاستيعاب، الى ان اسرائيل سيكون عليها الانسحاب من الجولان في حال التوصل الى سلام مع سورية. والمعروف ان التخلي عن الجولان يستثير الكثير من الحساسيات في اسرائيل، خصوصا في اوساط اليمين والمستوطنين.

ولقد نقلت وسائل الاعلام في ١٩٩٣/٩/١٦ تصريحات لاسحق رابين، رئيس وزراء اسرائيل، يستأخر فيها المفاوضات مع لبنان ويهاجم سورية على سياستها، وكأنما هو في ذلك يحاول نسف جسور في المحادثات ليس هو في حاجة اليها في الوقت الحاضر.

فيما يتعلق بالمسار اللبناني، قال رابين ان اتفاق سلام مع لبنان ممكن في غضون تسعة اشهر. كذلك كرر، ربما للمرة الثالثة في خلال نحو اسبوعين، شروط التوصل الى اتفاق سلام بين لبنان واسرائيل، وهي انتشار الجيش اللبناني في الجنوب «لنزع سلاح حزب الله والمنظمات الارهابية الاخرى»، على حد تعبيره. واردف قوله: اذا استطاع الجيش اللبناني ان يفعل ذلك في غضون ستة اشهر ويمنع حدوث اي عملية ضد اسرائيل، فقد يتمكن البلدان من توقيع اتفاق سلام في الاشهر الثلاثة التالية. بذلك بدا رئيس الوزراء الاسرائيلي وكأنه يستأخر الاتفاق مع لبنان حتى تسعة اشهر.

ومن شروط الاتفاق مع لبنان ذكر سابقا ايضا شرط عدم المس بما يسمى جيش لبنان الجنوبي التابع لقيادة انطوان لحد والموالي لاسرائيل، لا بل كان هناك تلويح سابق الى المطالبة بضم تلك القوة الحدودية الخارجة على الشرعية في القوى اللبنانية المسلحة ولا سيما الجيش.

واعلن رابين، الى ذلك، ان اسرائيل «لا تولي اي اهمية لقرار مجلس الامن الرقم ٤٢٥ (الذي يتمسك لبنان به منطلقا لمحادثاته مع اسرائيل) اما التوصل الى سلام حقيقي فينبغي ان يمر بالاتفاق على ترتيبات امنية وابرام معاهدة».

بات واضحا ان اسرائيل كانت تتوخى من سياسة المماطلة التي سلكتها في محادثاتها مع لبنان افراغ القرار الدولي من محتواه وجر لبنان الى التفاوض معها على التسوية ضمن معادلة الارض مقابل السلام فهي تسعى الى استدراج الاطراف العرب الى الصلح معها الواحد تلو الاخر، حتى اذا ما بقي لبنان في الساحة وحيدا اضطر الى المفاوضة ايضا على السلام مقابل الارض، اي مقابل الانسحاب من الارض اللبنانية.

ثابر لبنان طويلا على اعلان تمسكه بالقرار ٤٢٥ مطالبا اسرائيل بالانسحاب، حسب نص القرار الدولي، فورا وبلا شروط ولكن اسرائيل نجحت حتى الان، من خلال سياسة المماطلة التي انتهجتها، في تعطيل القرار ٤٢٥ عمليا املا في اقحام محادثاتها مع لبنان في منطق القرار ٢٤٢، اي الارض مقابل السلام. مع العلم ان لبنان يعتبر نفسه غير معني بهذا القرار من قريب او بعيد. ولعل مجرد قبول لبنان اساسا الدخول في محادثات ثنائية مع اسرائيل في اطار مؤتمر للسلام كان من شأنه تعطيل القرار ٤٢٥ عمليا وربط الانسحاب الاسرائيلي من لبنان بسلام المنطقة وبالتالي بازمتها.

يذكرنا هذا الواقع بما كان في عام ١٩٩١ يوم توجه من كان يسمى آنذاك «ترويكا» الحكم في لبنان، اي رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء، معا الى نيويورك للمشاركة في جلسات الجمعية العمومية للامم المتحدة ومقابلة الرئيس الامريكي جورج بوش. وعندما عادوا الى لبنان اخذوا يبشرون بنجاحهم في «فصل القرار عن المؤتمر» بدعوى انهم حصلوا على تأكيدات وضمانات بان حق لبنان في انسحاب اسرائيلي فوري وغير مشروط من اراضيه يبقى محفوظا بموجب القرار ٤٢٥ اذا ما قرر المشاركة في مؤتمر مدريد للسلام. وقلنا آنذاك تعليقا على هذه المقولة: اذا كان هذا صحيحا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فعلى لبنان الا يشارك في محادثات ثنائية مع اسرائيل. لا جناح على لبنان من المشاركة في مؤتمر عام للسلام، كمؤتمر مدريد. ولكن ليس من مصلحته الخوض في محادثات ثنائية وذلك لان اية محادثات ثنائية بين لبنان واسرائيل سوف يكون محورها بالضرورة احتلال اسرائيل لاراض لبنانية ومطالبة لبنان بانهائه، فلن يتقدم على هذا الموضوع اي موضوع اخر بطبيعة الحال. ولكن باعتبار ان المحادثات تجري في اطار مؤتمر للسلام، فان اسرائيل سوف تجعل السلام مع لبنان شرطا لخروجها من اراضيه. بذلك يصبح القرار ٤٢٥، الذي يقضي بالانسحاب غير المشروط، معطلا عمليا وها قد جاء قول رابين (بان اسرائيل لا تولي اي اهمية للقرار ٤٢٥ وان الانسحاب الاسرائيلي مرهون بالسلام) مصداقا لما ذهبنا اليه.

المسار السوري

وفيما يتعلق بالمسار السوري قال رابين اثناء توقفه في المغرب في طريق عودته من واشنطن الى تل ابيب بعد توقيع اتفاق غزة اريحا: «يتعين على سورية ان تظهر رغبتها في السلام، فهي تبدو وكانها تمد يدا للسلام فيما هي تفتح النار باليد الاخرى».

وانتقد سورية لانها، حسب تعبيره، حالت دون انتشار الف او الفين او ثلاثة الاف جندي لبناني واستجابت الحكومة اللبنانية لضغوطها فعدلت عن قرارها ونشرت كتيبة مقدارها ٦٠٠ رجل فقط لا يمكنها مواجهة حزب الله. ولفت الى ان دمشق «توفر المساعدة والحماية» للفصائل الفلسطينية العشرة المعارضة لمنظمة التحرير وتسمح لاذاعة القدس بان تبث من الاراضي السورية دعوات معادية لمفاوضات السلام.

يتبين من كل هذا ان اسرائيل عازمة على استئناف المفاوضات مع سورية تحت ذريعة ماخذ معينة تاخذها على السياسة السورية، فبدت وكانها تضع سورية تحت الامتحان في مواقف معينة قبل استئناف مفاوضاتها معها. ووراء هذا الموقف الاسرائيلي في الحقيقة رغبة في المماطلة، اولا ريثما تهضم حكومة اسرائيل نتائج اتفاق غزة اريحا، ثم لانها لم تعد ترى في المسارين اللبناني والسوري، بعد صلحها مع الفلسطينيين، ما يوجب العجلة. بعبارة اخرى يبدو وكانما اكتفت اسرائيل باتفاقها مع منظمة التحرير الى حين فلم تعد تأبه لمحادثات السلام مع لبنان وسورية.

السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا تكتفي اسرائيل باتفاقها مع الجانب الفلسطيني فتسترخي وتستأخر المسارات الاخرى؟ لماذا تتشدد في شروطها للسلام مع لبنان وسورية على نحو يوحي بانها غير متهيئة احتمال تعثر محادثاتها معهما؟ قد يكون لهذا الموقف اسباب متعددة، ولكن اهمها في نظرنا اثنان.

اولا، ان اسرائيل تعتبر اتفاقها مع الجانب الفلسطيني اعز عليها من اتفاقها مع اي طرف عربي اخر، وذلك نظرا الى ان هذا الاتفاق يكسبها شرعية عربية فلسطينية كانت تفتقدها. فارض فلسطين هي موضع نزاع مبدئي بينها وبين الفلسطينيين. فاذا ما تم لها الاتفاق معهم اكتسبت للمرة الاولى في تاريخها شرعية عربية فلسطينية لوجودها على تلك الارض.

ثانيا، ان السلام يوازي في نظر اسرائيل تطبيع العلاقات، ولا سيما على الصعيد الاقتصادي فهي تطمع في اسقاط جدار المقاطعة العربية املا في التوغل في عمق الاقتصاد العربي طمعا في خيراته. فجاء الاتفاق مع منظمة التحرير ليفتح ثغرة كبيرة في الجدار العربي يمكن اسرائيل من التسلل من خلالها الى عمق الاقتصاد العربي. فبعد اتفاق كامب ديفيد مع مصر، لم تجن اسرائيل الا المزيد من التصلب العربي والتصعيد. ومع ان اتفاق كامب ديفيد ينص على تطبيع العلاقات مع مصر فان هذا النص لم يؤمن تطبيعا حقيقيا للعلاقات مع مصر، ولا هو فتح الثغرة التي تنشدها اسرائيل للتوغل في الاقتصاد العربي، مع العلم ان مصر هي الدولة العربية الكبرى. كأنما كان اتفاق كامب ديفيد صكا وقعت عليه الدولة المصرية ولم يوقع عليه الشعب المصري. فلا عجب ان باتت اسرائيل تسعى الى التطبيع من خلال اتفاقها مع الجانب الفلسطيني وليس من خلال اتفاقها مع اي دولة عربية مهما بلغ شانها في الاسرة العربية.

واسرائيل تراهن على تداعي الهيكل العربي، وبالتالي تهافت الدول العربية على تبادل الاعتراف معها، بعد تحييد البعد الفلسطيني في الصراع العربي الاسرائيلي. فبدون البعد الفلسطيني يغدو الصراع بلا قضية. واسرائيل تأمل بنتيجة ذلك ان يصبح لبنان وسورية في ما يشبه العزلة، فتتمكن عند ذاك من فرض شروطها للسلام معهما.

ولن تكون اسرائيل بعد ذلك مضطرة، عند استئناف محادثاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد سنتين، حسب نص الاتفاق، الى ان تستجيب لاي مطلب فلسطيني. ذلك لان الجانب الفلسطيني يكون عند ذاك قد فقد قوته التفاوضية بانتهاء الانتفاضة التي كانت تضغط على اسرائيل وبانفتاح سائر العرب عليها وسقوط المقاطعة العربية، التي كان الفلسطيني يستقوي بها.

اذا كانت اسرائيل تجد مصلحتها في استئناف المسارين اللبناني والسوري، فان الامر لا يتوقف عليها وحدها. فالراعي الامريكي مصر على ما يظهر، على استعجال انجاز المسيرة. فقد اتصل الرئيس الامريكي بالرئيس السوري في ١٩٩٣/٩/١٥ ليؤكد له ذلك ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية